العصر الاندلسي

ملوك الدولة الاموية في الاندلس

الاندلس وفتحها

الاندلس : يراد بها اسبانيا والبرتغال. وقد سميت كذلك نسبةً إلى قبائل الفندال التي نزلتها في القرن الخامس للميلاد. فاطلق الاسبان عليها اسم فندلس ثم حرّفهُ العرب بالاندلس.

فتح الاندلس : في سنة ٩٢ هـ «٧١٠ م» عبر المسلمون البحر الى اسبانيا يقودهم طارق بن زياد «وهو الذي سمي بوغاز جبل طارق باسمهِ» احد رجال موسى بن نصير. وكانت اسبانيا يومئذٍ في اضطرابٍ داخلي. وقد قام فريق من اشرافها على الملك رودريك «يسميه العرب لذريق» وارسلوا الى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك في المغرب يستنجدونه عليه. فاجابهم موسى الى ذلك وارسل طارقاً فغزا بلادهم وقهر ملكهم. وعندما

وصلت الاخبار الى موسى حركته الغيرة فامر طارقاً بتوقيف الزحف. وسار هو بنفسه الى اسبانيا ففتح عاصمتها «طُلَيْطلة» واتمّ فتح الاندلس. ثم جاءه الامر من الوليد ان يقدم الى الشام فاستخلف على الاندلس ابنهُ وسار الى الشام بابهة عظيمة، فوصلها والوليد قد مات. فلما ولي سليمان بن عبد الملك بن مروان الخلافة وكان يكره موسى عامَلهُ معاملة سيئة جداً ونهب اموالهُ فمات هذا القائد العظيم ميتة اهل الفاقة والخمول. وصارت الولاة تتعاقب عليها من قبل الخلفاء والتيار الاسلامي يتقدم نحو اوروبا حتى دخلها عبد الرحمن الاموي وثبت فيها ملكهُ فارجع الحكم لبني أُمية. ومنه تبتدئ الدولة الاموية في الاندلس.

عبد الرحمن الاول الداخل: هو حفيد الخليفة هشام بن عبد الملك. نجا من سيف السفاح العباسي الذي استأصل بني أُمية وابادهم قتلاً وتشريداً. فهرب يجوب الآفاق شريداً لا معين لهُ سوى خادمة «بدر» فساقته الاقدار الى افريقية فنزل على اخوالهِ من برابرة طرابلس. وكان عبد الرحمن طموحاً الى المعالي طامعاً في الملك فعلم ما آلت اليه اسبانيا من سوء النظام والاضطرابات الداخلية، فبعث بخادمهِ بدر اليها يدس الدسائس ويثير الاحزاب، فتمكن بدهائهِ من استمالة حزب اليمنية اليه لانهم كانوا حاقدين على المضرية لانفرادهم بالسياسة.

فلما وثق عبد الرحمن منهم حمل على اسبانيا بمقاومة افريقية وهو ابن ٢٨ سنة ففتحها واستولى عليها في السنة ١٢٨ هـ « ٧٥٦م » وجعل عاصمة ملكه قرطبة، فلقب بامير اسبانيا الاكبر. وكان ربع القامة جليل الطلعة صبوح الوجه عريض اللحية والجبهة، قد خالط شعره بياض، كبير العينين بغير جحوظ، اقنى الانف مع حدة وذكاء، حازماً تقياً غيوراً على الاسلام والمسلمين. وكان على جانب عظيم من الحكمة والدهاء والبسالة والاقدام ذا همة عالية منصرفاً الى تعزيز ملكه وقهر مناوئيه. فجنّد بحسن تدبيره الاجناد ودوّن الدواوين واهتمّ كثيراً لتعمير البلاد وترقيتها. فازدهرت اسبانيا في ايامه بالعلوم والمعارف وازدادت ثروتها. وكان يلقب بالداخل لانه اول من دخل من ملوك بني مروان. وكان ابو جعفر المنصور يسميه « صقر بني قريش » لما رأى ما فعل بالاندلس. وتناول الملك بقوة شكيمة ومضاء عزم. ولقب بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدعَ احد منهم بامير المؤمنين حتى كان عبد الرحمن الناصر. وكانت ولاية عبد الرحمن الاول ٣٣ سنة واوصى بالخلافة من بعده لابنه هشام.

هشام بن عبد الرحمن الاول : كان من اهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد، وهو الذي اكمل بناء الجامع بقرطبة الذي كان ابوه شرع فيه. واخرج المصرف لآخذي الصدقة على الكتاب

والسنّة . توفي سنة ١٨٠ هـ «٨٠٢ م» وكانت مدة امارته سبع سنين وقيل ثماني سنين . ثم ولي بعده ابنه الحَكَم .

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الاول : وهو اول من جند بالاندلس الاجناد والمرتزقة وجمع الاسلحة والعُدد واستكثر من الحشم والحواشي وارتبط الخيول على بابهِ واتخذ المماليك وكان يسميهم الحُرس لعجمتهم . وكان يباشر الامور بنفسهِ . وكانت لهُ عيون يطالعونهُ باحوال الناس . وكان يقرّب الفقهاء والعلماء والصالحين . وهو الذي وطّأ الملك لعقبه بالاندلس . توفي سنة ٢٠٦ هـ « ٨٢٨ م » لسبعٍ وعشرين سنة من ولايتهِ . وقام بالامر من بعده ابنه عبد الرحمن الاوسط .

عبد الرحمن الاوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الاول : كان هذا الامير عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة . وكانت ايامهُ ايام هدوء وسكينة فكثرت الاموال عندهُ واتخذ القصور والمتنزهات وجلب اليها الماء ، وجعل لهُ مصنعاً اتخذهُ الناس شريعةً ، وزاد في جامع قرطبة رواقين ومات قبل ان يستتمهُ فاتمّه ابنهُ محمد بعدهُ . وبنى بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة . توفي سنة ٢٣٨ هـ « ٨٦٠ م » فكانت مدة ولايتهِ احدى وثلاثين سنة . ثم ولي بعده ابنهُ محمد .

محمد بن عبد الرحمن الأوسط بن الحكم: حكم الامير محمد خمساً وثلاثين سنة فأصلح اسوار قلعة رباح وافتتح طليطلة وبرشلونة واشبيلية والجزيرة وماردة وسرقسطة وقرطاجنة بعد ان قتل الخارجين عليه من اهلها. وانشأ المراكب بنهر قرطبة ليدخل بها الى البحر المحيط فاصابها ريح فتقطعت ولم يسلم منها الاّ القليل. وما زالت كل ايامه حروباً وفتوحات وقمع ثورات حتى توفاهُ الله في شهر صفر سنة ٢٧٣ هـ «٨٩٥ م» وولي بعده ابنه المنذر.

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط: حكم هذا الامير سنتين بعد ابيه وتوفي بعد ان حاصر ابن حفصون الثائر بجبل يشتر سنة ٢٧٥ هـ «٨٩٧ م» وولي مكانه اخوهُ عبد الله.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط: اضطربت في ايامه نواحي الاندلس بالثوار الذين لما كثروا قل الخراج. وكان خراج الاندلس ثلاثماية الف دينار. وكان لهُ ولدان محمد والمطرف، فاكثر المطرف الوشاية بأخيه محمد عند ابيه فحبسه ابوه ببعض غرف القصر واستخلف المطرف على قصرهِ وخرج لبعض غزواتهِ وقمع ثورة عمر بن حفصون «وهو فارس مسلم من اصل قوطي ثار ثورة عظيمة في وجه الامويين واستفحل امرهُ جداً حتى كاد يخشى على الامارة الاموية في قرطبة منه لكن حبط مسعاه اخيراً» ورجع الامير عبد الله فوجد ابنهُ

المطرف قد قتل اخاه محمداً في محبسه فعظم عليه الامر وحزن على ولده المقتول حزناً شديداً ادّى به الى قتل ابنه المطرف قتلةً ثأرَ فيها منه بابنه محمد . ثم توفي في شهر ربيع الاول سنة ٢٩٩ هـ « ٩٢١م » بعد ان حكم ستاً وعشرين سنة . وولي حافده ابن ابنه محمد عبد الرحمن الناصر .

عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاول : كان من اشهر رجال الاسلام ومن اعظم ملوك الاندلس . رقي العرش والاندلس مضطربة فسكّنها وقاتل المخالفين حتى اذعنوا واستنزل الثوار ومحا اثر ابن حفصون كبيرهم . وهو اول من تسمّى بامير المؤمنين من بني أمية في الاندلس . وكان كثير الجهاد والغزو الى دار الحرب فاوطأ المسلمين من بلاد الافرنج ما لم تطأه اقدامهم من قبل . ولما استفحل امره صرف نظره الى تشييد المباني والقصور ، منها قصر « الروضة » المشهور . وقد بنى مدينة « الزهراء » وجعلها كرسياً لملكه وانشأ فيها من المباني والمتنزهات والمسارح والمصانع ما علا على مباني ابيه وجده . قال دوزي في تاريخه « المسلمون في اسبانيا » ان اعماله من قبيل المعجزات ، فقد اجرى الذهب في الاندلس ورفع شأن العلم فنهض بالعرب الى السماك الاعلى .

وقد ذكر ابن عبد ربه غزواته وهو من معاصريه وعدّد

مناقبه وقال انه لم يكن لها نظير، وبه بلغت الاندلس العربية اوج المجد . وبموته بدأت تتقهقر كما سيلي . ثم توفي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠ هـ « ٩٧٢ م » بعد ان حكم خمسين سنة ونيّفاً وولى ابنهُ الحكم وتلقب بالمستنصر بالله .

الحكم الثاني ابن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستنصر بالله:
كان هذا الخليفة عظيم الفتوحات غزا الجلالقة في شمالي اسبانيا وبلاد البشكنس ، ودوخ في البحر الكبير اسطول المجوس الزاحف لامتلاك السواحل فاسر رجاله واوطأت عساكرهُ ارض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط ووفد عليه ملوك البرابرة وزناتة ومغراوة ومكناسة من آل الخزر وبني ابي العافية فاجزل صلتهم واكرم وفادتهم[1] .

وكان محباً للعلوم جمّاعة للكتب على انواعها مما لم يجمعه احد من الملوك قبله، فهو في الحق ابو النهضة العلميّة والثقافيّة في اسبانيا . وهو الذي انشأ مكتبة قرطبة الشهيرة وشيّد لها قاعات خاصة في قصرهِ المشهور. قال ابن حزم: اخبرني ابن بكيّة الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان : ان فهارس

---

١ وبلغت قرطبة غاية عظمتها في ايامهِ حتى حق لهـا ان تسمى دار العلوم. وامتاز عهدهُ بانشاء المدارس والمكاتب، فقد ابتنى في قرطبة سبعاً وعشرين مدرسة وجعلها مجاناً للطلاب .

الدواوين وحدها في مكتبة قرطبة كانت ٤٤ فهرساً، وانه كان في كل فهرس عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين . فاقام المستنصر بالله للعلم والعلماء سلطاناً، وكان يرسل البعثات العلمية الى الشرق فكانت تنسخ له الكتب وتأتي بها اليه حتى جلبت منها الى الاندلس ما لم يعهدوه . وبعث في طلب كتاب الاغاني الى مصنّفه ابي الفرج الاصفهاني الف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه بالعراق. وجمع في داره الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد. واثبت لنا كلّ من المقرّي وابن خلدون ان مكتبة قرطبة حوت ما لا يقلّ عن اربعماية الف مجلد . وما زالت هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بيع اكثرها بحصار البربر ونُهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة . واصابت الحكم علة لزم فيها الفراش الى ان توفاه الله سنة ٣٦٦ هـ « ٩٨٨ م » لست عشرة سنة من خلافته . وولي من بعده ابنه هشام .

دولة العامريين

هشام بن الحكم الثاني ابن عبد الرحمن الناصر

لما بويع هشام لُقّب المؤيّد وكان يناهز الحلم وقد استوزر لهُ أبوهُ محمد بن ابي عامر فثار لوزيرهِ هذا رأيٌ في الاستبداد فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها واستولى على البلاد وحجز على الخليفة هشام ومنع الوزراء من الوصول اليه الاّ في النادر من الايام يسلمون وينصرفون، وارخص للجند في العطاء واعلى مراتب العلماء وقمع اهل البدع ، ثم ابتنى لنفسهِ مدينة سماها الزاهرة وامر بان يُحيّا تحية الملوك ولقب المنصور. وكان شجاعاً حكيماً وهو من اكبر قادة المسلمين. ومات سنة ٣٧٤هـ «٩٩٦م» لسبعٍ وعشرين سنة من ملكهِ. وخلفه ابنه «المظفّر» فجرى على سنن ابيه في حجر الخليفة هشام والاستبداد به .

ثم خلفهُ اخوهُ « عبد الرحمن » وتلقب بالناصر لدين الله فجرى ايضاً مجرى ابيه واخيه، وطلب من الخليفة ان يوليه عهده فاجابه الى طلبهِ ، لكنّ الامويين نقموا ذلك فاجتمعوا لامرهم في غيبة عبد الرحمن ببلاد الجلالقة وقتلوا صاحب الشرطة وخلعوا

هشاماً ثم بايعوا محمد بن هشام ولقبوه بالمهدي، فتسلل الجند عن عبد الرحمن ولحقوا بالمهدي واعترضه واحد فاحتز رأسه وذهبت بذلك دولة العامريين .

ملوك الطوائف والبربر

وفي ختام المائة الرابعة بايع البرابرة وزناتة سليمان بن الحكم ولقبوه « المستعين بالله » وجعل مركز ولايته في قرطبة . وفي سنة ١٠٢٣ م بويع عبد الرحمن اخو المهدي الملقب « بالمستظهر » لكن رجلاً من اعقاب الخلفاء يدعى « المستكفي » قتله واستبد بالامر . وخلفه المعتضد بالله الذي مات سنة ٤٢٨هـ « ١٠٥٠ م » وبه كانت نهاية الخلافة الاموية في الاندلس. وبسبب ضعف الخلافة ولكثرة الفتن تفرقت المملكة امارات امارات عرفت بدول الطوائف .

دول الطوائف : اشهرها « بنو عبّاد » وعاصمتهم اشبيلية وهم اوسع ملوك الطوائف اقتداراً . وقد نبغ فيهم المعتمد الشهير . و« بنو جَهْوَر » في قرطبة و « بنو نصر » في غرناطة و« بنو هود » و« بنو ذي النون » في طليطلة . وملوك بلنسية وغيرهم . وبقيت الاندلس كذلك الى اواخر القرن الحادي عشر للمسيح حين غشيها البربر من افريقية .

وقد عُرف من البربر دولتان كبيرتان الاولى « المرابطون» واشهر زعمائهم يوسف بن تاشفين . وهم اهل الغزو لا ميل لهم الى الحضارة ، فخمدت في ايامهم المعارف وخيم الجهل على البلاد . وقد بقيت سيادتهم الى سنة ١١٤٧ م . والثانية « الموحدون » وفي ايامهم زهت العلوم والمعارف .

وفي النصف الاول من القرن السابع للهجرة « الثالث عشر للميلاد » اضمحل ملك البربر من الاندلس وتقلص ظل الاسلام فيها . ولم يبقَ للمسلمين الاّ غرناطة بقيت الى الجيل الخامس عشر وملوكها «بنو نصر» وقد بقيت دولتهم من سنة ١٢٣٢م — ١٤٩٢م وهم بناة الحمراء المشهورة . وفي ايامهم ازدهر العلم وقام بضعة من كبار العلماء اشهرهم ابن خلدون ولسانُ الدين ابن الخطيب وغيرهم .

حضارة العصر الاندلسي وثقافته

لقد بنى العرب ملكاً واسعاً في اسبانيا ازدهر بالفنون والآداب في قرطبة وفلورنسا . ومنهما انتشر الخيال العربي في سائر بلاد اوروبا .

وكانت قرطبة مركز الثقافة العربية في العالم . والخليفة العربي اذ ذاك يملي شرائعهُ على نصف العالم في اسيّا وافريقية واوروبا .

فساعد هذا العهد على نمو حقل الحضارة والثقافة العربيتين في الاندلس وخلع عليهما الزخرف والرونق والبهاء .

فالعلم والفلسَفة والشعر بلغ بها الاندلسيون ذروة الكمال، وقد اشتهروا علاوة على ذلك في فن البناء والنقشْ وصناعة تجليد الكتب .

لكن زوال الحضارة العربية من تلك البلاد كان شؤماً على اسبانيا واوروبا .

فالاندلس لم تعرف السعادة الاّ في ظلّ الامراء العرب .

وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخصب؛

ذلك ان ملوك المسيحيين الذين خلفوا ملوك العرب كانوا على جانب كبير من المهارة السياسية ولكنهم لم يضاهوا مهارة العرب في الادارة والتنظيم .

وقصارى القول ان اقامة العرب الطويلة باسبانيا اشبه ما تكون بطغيان نهر كبير غمر الحقول بمائه وطينه ولكن النبات الذي استمد الخصب من هذا الطين وذلك الماء كان متأصلا في الارض من زمن طويل .

obeikandl.com